﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾ [ص: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الاهتمامُ الفعليُّ بالخيل

لمّا ذَكرَ في الآيةِ السّابقةِ ابتهاجَ سُليمانَ عليه السلام بآلةِ الحربِ والجِهاد قَلْبًا وحُبًّا ذكرَ في هذه الآيةِ فعلَهُ بالخيلِ؛ ليَجمعَ بين الاهتمامِ القلبيّ والفعليّ بها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رُدُّوهَا﴾: أصلُ الرَّدِّ: صرفُ الشّيءِ بذاتِهِ، أوْ بحالةٍ مِن أحوالِهِ[1]، يُقالُ: رَدَّهُ عن طَريقِهِ؛ أيْ: صَرَفَهُ[2]. ويأتي بمعنى: الإعادَةِ والإرْجاع، تَقول: رَدَّهُ إلى مَنْزِلِه؛ أيْ: أعادَهُ، ورَدَّ إلَيْهِ جَوابًا؛ أيْ: أرجَعَهُ وأرسَلَه[3]. ومِن مَعانيه أيضًا: المَنْعُ والرَّفْضُ، وشيءٌ مَردودٌ؛ أيْ: مرفوضٌ، ورَدَّ فُلانًا: خَطَّأهُ؛ أيْ: لم يَقبلْهُ. والرَّدُّ في الآيةِ معناه: الإرجاعُ إلى المكانِ الَّذي يُؤتَى منهُ[4].

2) ﴿فَطَفِقَ﴾: طَفِقَ مِن أفعالِ الشُّروعِ في الفعلِ، يُقال: طَفِقَ يفعلُ كذا يَطْفَقُ طَفَقًا؛ أي: جعَلَ يفعَلُ[5]، كما يُقالُ: ظَلَّ يَفعلُ كذا، وأخَذَ يفعَلُ كذا، ويُستعمَلُ في الإيجابِ دونَ النَّفي[6]. وطَفِقَ في الآية: من أفعالِ الشُّروعِ؛ أي: فَشَرَعَ.

3) ﴿مَسۡحَۢا﴾: أصلُ (مسح) يدُلُّ على إمرارِ الشَّيءِ على الشَّيءِ[7] لإزالةِ ما عليهِ مِن غَبَشٍ أوْ ماءٍ أوْ غُبارٍ وغيرِ ذلك ممّا

(1) ابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (ردَّ - ردد).
(2) الجوهري، الصحاح: (ردد).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ردد).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 300.
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، والجوهري، الصحاح: (طفق).
(6) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (طفق).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسح).

لا يُرادُ بقاؤُهُ على الشَّيءِ، ويكونُ باليدِ أوْ خِرقةٍ أوْ ثوبٍ، ويُطلَقُ على القَطعِ، يُقالُ: مسَح رأسَهُ؛ إذا قطَعَهُ[1]. والماسِحُ: القَتّالُ، يُقالُ: مَسَحَهُم؛ أي: قَتَلَهُم[2]. و﴿مَسۡحًا﴾ في الآية: مصدرٌ أُقيمَ مُقامَ الفِعْل؛ أي: طَفِقَ يَمسَحُ مَسحًا. ولعلَّ معناه كنايةٌ عن القَتْل بالسَّيف؛ لأنَّ السَّيفَ يُمسَحُ عنه الدَّمُ بعدَ الضَّربِ به[3]. وقيلَ: المُراد به - وهو الرّاجحُ -: مسحُ سيقانِ الخيلِ ونَواصيها بيدِ سُليمان تكريمًا لها، وتفحُّصًا لأحوالِها حتّى يُعالجَ ما قد يكونُ بها من عيوبٍ[4].

4) ﴿بِٱلسُّوقِ﴾: أصلُ (سوق) يدلُّ على حَدْوِ الشَّيءِ، والسّاقِ للإنسانِ وغيره، والجَمْعُ: سوقٌ وسيقانٌ وأسْوُقٌ؛ إنَّما سُمّيتْ بذلكَ لأنَّ الماشيَ يَنساقُ عليها. ويُقالُ: امرأةٌ سَوْقاءُ، ورَجُلٌ أسْوَقُ، إذا كان عظيمَ السّاقِ[5]. ومنه أيضًا السّوْقُ: معروفةٌ؛ وسُمّيت بذلك؛ لأنَّ الأشياءَ تُساقُ إليها ومِنها[6]. والمقصودُ به في الآية: جَمعُ ساقٍ، وهو ما بينَ الكَعْبِ والرُّكبةِ منَ الإنسانِ والحَيوان.

5) ﴿وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾: أصلُ (عنق) يدُلُّ على امتدادٍ في شيءٍ. ومنه العُنُقُ: الرَّقَبَةُ والوُصْلَةُ ما بين الرَّأسِ والجَسَدِ[7]. والأعْنَقُ: الطَّويلُ العُنُق، والأنثى عَنْقاءُ بيِّنة العَنَقِ[8]. والأعناقُ: جَمْعُ عُنُقٍ بِضَمَّتَيْنِ، وقد تُسكَّنُ النّونُ، وهو مؤنَّث. وقيلَ: المضمومُ النّونِ مؤنَّثٌ، والسّاكنُ النّونِ مُذكَّرٌ[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

طَلَبَ سُليمانُ ﷺ من جُندِهِ والقائمينَ على شأنِ الخيلِ أنْ يردّوها ويُعيدوها إليه، فلمّا أعادوها إليه شَرَع يَمسَحُ سيقانَها وأعناقَها؛ تشريفًا وإعزازًا لها وشفقةً عليها وإظهارًا لمكانتِها، إذ هي من أعظمِ ما يُساعِدُ المجاهدَ ويُعاونُهُ في دفعِ عدوِّه والانتصارِ عليه،

(1) ابن عباد، المحيط في اللغة، والجوهري، الصحاح: (مسح)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 257.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (مسح).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 257.
(4) الزحيلي، التفسير المنير: 23/ 204.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوق).
(6) ابن عباد، المحيط في اللغة: (سوق).
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم: (عنق).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 96، 23/ 257.
(9) الجوهري، الصحاح: (عنق).

وقد أبدى ﷺ كمالَ التَّواضُعِ في مُباشرةِ ذلك الأمرِ بنفسِهِ. وهكذا يَضرِبُ الأنبياءُ الأمثالَ لأقوامِهم وأتباعِهم ليتأسَّوا بهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصلِ قولِهِ: ﴿رُدُّوهَا﴾:

للخيلِ منزلةٌ عظيمةٌ في نفوسِ أصحابِها؛ لفضلِها وشَرَفِها

من كمالِ رَحمةِ الأنبياء الشَّفقةُ على الحَيوان

وردتِ الجملةُ في قولِه تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ مفصولةً عن الجملةِ قبلَها؛ لأنّ بينَهما ما يُسمّى في البلاغةِ بـ(شبه كمال الاتِّصال)؛ إذ جملةُ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ على قول الزّمخشريّ مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ كأنّه قيل: فماذا قال سليمان؟ فقيل: قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾، فهذا موضعٌ مُقتضٍ للسّؤال اقتضاءً ظاهرًا، وهو اشتغالُ نبيٍّ من أنبياء اللّه بأمرِ الدّنيا حتّى تفوتَهُ الصّلاةُ عن وقتها[2]. وتعقّبَهُ أبو حيّانَ بأنَّه لا يُحتاجُ إلى الإضمارِ؛ إذ الجملةُ مندرجةٌ تحتَ حِكايةِ القولِ في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾[3]. والّذي يتبيّنُ لنا: أنَّ السُّؤالَ نشأ من قوله: ﴿أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾، فأراد بيانَهُ وتوضيحَه فقال: علامةُ ذلك الحبِّ أنْ رُدّوها ... إلخ.

دلالةُ فعلِ الرَّدِّ:

الرَّدُّ إرجاعٌ إلى مكانٍ سابِقٍ

عُبِّر في قولِهِ تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ بفعلِ الرَّدِّ، ومعناهُ في اللُّغةِ: الإعادَةُ والإرْجاعُ، والمرادُ به الأمرُ الصّادرُ من سُليمانَ ﷺ بأنْ تُرجَعَ إليه الخيلُ من المكانِ الَّذي يُؤتَى بها منه[4]. وإنَّما طَلَبَ ردَّها إليهِ بعدَ أنْ أحسَّ بتَعَبِها في الجَرْيِ؛ شَفَقَةً بِها.

عَوْدُ الضّميرِ في ﴿رُدُّوهَا﴾:

تنوُّعُ المعنى باختلافِ مَرجِعِ الضَّمير

ضميرُ (الهاءِ) في قولِهِ تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ عائدٌ إلى ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ

(1) مقاتل، تفسير القرآن: 3/ 644، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 68، والزمخشري، الكشاف: 4/ 93، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 8/ 449.

(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 93.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 155.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 300.

﴿ٱلۡجِيَادُ﴾ بدلالةِ السّياق، والخطابُ في قولِهِ: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ لسائسي خَيلِهِ. وقيلَ: الضَّميرُ عائدٌ إلى الشّمسِ، والخِطابُ للملائكةِ، وهو في غايةِ البُعد.

فائدةُ التّعبيرِ بالجارّ والمجرور ﴿عَلَيَّۖ﴾:

الاستعلاءُ المجازيُّ دالٌّ على القربِ المكانيّ

أوثِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ التَّعبيرُ بحرفِ الجرّ (على) دونَ (إلى)؛ للدّلالة على الاستعلاءِ المَجازيِّ المُناسِبِ لتعظيمِ كلامِ المُلوك، كما يفيدُ حرفُ الجرِّ (على) أنَّ الرَّدَّ ليس للعرضِ عليه، بل يُقرِّبونَها منهُ لغرضِ المَسْحِ عليها حُبًّا وكرامةً، وهذا لا يتحقّقُ بالرَّدِّ إليه؛ لأنّه قد يكونُ للعَرضِ عليه.

معنى (الفاءِ) في ﴿فَطَفِقَ﴾:

تعقيبُ الرَّدِّ بسُرعةِ المَسْحِ بها

وُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ بما قبلَهُ بحرفِ (الفاء)، وهي تعقيبيَّةٌ فصيحةٌ مُفصِحةٌ عن جملةٍ قد حُذِفَتْ ثقةً بدلالةِ الحال عليها، وإيذانًا بسُرعةِ الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾؛ أي: فَرَدّوها عليه فَطَفِقَ مَسْحًا... إلخ[1].

سرُّ إيثارِ الفعلِ (طَفِقَ):

الدّلالةُ على الشّروعِ بأفعالٍ مَخصوصةٍ

أوثِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ استعمالُ الفعلِ (طفق) للدّلالةِ على الشّروع، واسمُها ضميرُ سُليمانَ، وخبرُها مقدّرٌ دلَّ عليه قولُهُ: ﴿مَسۡحَۢا﴾، فهو منصوبٌ بفعلٍ مقدّرٍ هو خبرُ (طفقَ)؛ أي: فَطَفِقَ يمسَحُ مَسْحًا، وخبرُ هذه الأفعالِ لا يكونُ إلّا مضارعًا في العمومِ[2].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 185.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 377.

دلالةُ التّنكيرِ في ﴿مَسۡحَۢا﴾:

الحبُّ الشّديدُ للخيل والرّحمةُ العميقةُ به

وردَ لفظُ ﴿مَسۡحَۢا﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا﴾ نكرةً دالَّةً على نوعٍ مخصوصٍ منَ المَسْحِ الرَّحيم، وجاءَ ﴿مَسۡحَۢا﴾ مفعولًا مطلقًا لفعلٍ مقدّرٍ هو خبرُ (طَفِقَ) تقديرُهُ: (يمسحُ مسحًا)، بناءً على رأيِ مَن يُجوِّزُ حذفَ عاملِ المفعولِ المطلقِ المؤكِّد، واستعمالُ المفعولِ المطلقِ يُفيدُ تأكيدَ الفعلِ والمبالغةَ فيه، وأمّا على رأيِ مَن يمنَعُ حذفَ عاملِه؛ فهو مصدرٌ نائبٌ مَنابَ فعلِه؛ للدّلالةِ على حقيقةِ المَسْحِ ونوعيّتِه المخصوصةِ. وجوّز أبو البقاء أيضًا كونَه حالًا مؤوَّلًا بـ(ماسِحًا)، واستُشكِلَ هذا الوجهُ؛ إذ لا بدّ لـ(طَفِقَ) من الخبر، وليس هذا ممّا يَسُدُّ الحالُ فيه مَسَدَّهُ[1].

بلاغةُ (المجازِ) في لفظ (المَسْح):

الكنايةُ أبلغُ من الحقيقة

يتضمَّنُ قولُهُ تعالى: ﴿مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ - على التّفسيرِ المَشهور - مجازًا، إذ مسحُ الأعناقِ لازمُهُ العَقْرُ، يقالُ: مسحَ عِلاوته، إذا ضربَ عُنقَهُ[2]، ويقالُ أيضًا: مسحَ السّيفَ به. ولعلّ أصلَهُ كنايةٌ عن القتلِ بالسّيف؛ لأنّ السّيف يُمسَحُ عنه الدّمُ بعدَ الضَّرْبِ به[3]. والّذي يترجّحُ لدينا الحملُ على الحقيقةِ الّتي هي إمرارُ اليدِ ونحوِها؛ ليَمْسَحَ سيقانَها وأعناقَها؛ رفقًا بها ومحبّةً لها.

نكتةُ تعريفِ (السّوق والأعناق):

دلالـةُ (أل) على المضاف إليه

جاءَ لفظتا (السّوق والأعناق) في قولِه تعالى: ﴿مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ مُعرّفتين بـ(أل)، والظّاهرُ أنّها عِوَضٌ عن المضاف إليه؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾ [النّازعات: 41]؛ أي: بسوقِها

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 377.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 93.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 257، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 403.

وأعناقِها، و(أل) قائمةٌ مَقامَ الضَّميرِ المُضافِ إليه، أوْ تكونُ للعهدِ عندَ من لم يُجوّزِ العِوَضيَّة[1].

بلاغةُ العطفِ بـ(الواو):

تربيةُ النّفسِ بقَطْعِ العَلائِقِ

عُطِفَتِ (الأعناقُ) على (السّوق) في قولِهِ تعالى: ﴿مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ بحرفِ العطف (الواو) الدّالِّ على الجمعِ والاقتران، وفائدةُ تخصيصِ (السّوق والأعناق) بالذِّكرِ دونَ بقيّةِ أجزاءِ جسدِها: أنَّ التَّعبَ والغُبارَ إنَّما يظهرانِ بشكلٍ بارزٍ في هذينِ العضوينِ، فأرادَ إزالةَ ما عليهما من ذلك حُبًّا وحنانًا وكرامةً.

نكتةُ تقديمِ مَسْحِ (السّوقِ) على (الأعناقِ):

مُراعاةُ الأهمِّ في إظهارِ الاهتمام

تقدّم في قولِهِ تعالى: ﴿مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ مسحُ السّوقِ على الأعناقِ في الذّكر، فقال بعض المفسِّرينَ: إنّ سليمانَ ﷺ فعلَ ذلك على سبيلِ العَقْرِ وتسهيلًا للنّحر[2]. والّذي يترجّحُ لدَينا وفْقَ ما تقدّمَ بيانُهُ: أنَّ السّوقَ يظهرُ فيها أثرُ التّعبِ والغُبار، فقدَّمها بالذِّكر مراعاةً للواقعِ؛ إذ يَبدأ بمَسْحِ سوقها ليرتفعَ بعد ذلك إلى أعناقِها؛ إظهارًا منه لكمالِ الاهتمام بزينتِها وجَمالِها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

طَفِقَ وشَرَعَ وباشَرَ وبَدَأ:

الزّيادةُ على الشّروعِ بالدّلالةِ على المُلازَمةِ والاستمرارِ

تجتمعُ هذه الألفاظُ في دلالتِها على الشُّروعِ، ويتميّز الفعلُ (طَفِقَ) عنها في الدّلالةِ على المُلازَمةِ والاستمرارِ، المأخوذِ من قولِ العَرَبِ: طَفِقَ بالمَوضِعِ؛ أي: لَزِمَهُ[3]. وأمّا شرَعَ فهو دالٌّ على فتحٍ في

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 185، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 403.
(2) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 403.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (طفق).

امتدادٍ يكونُ فيه[1]، ويدلُّ الفعلُ (باشَرَ) على الظّهورِ، يقالُ: أبشَرتِ الأرضُ: إذا أخرجَتْ نباتَها[2]. وأمّا (بدأ) فدالٌّ على افتتاحِ الشّيءِ، يقال: بدأتُ بالأمرِ وابتدأتُ، من الابتداءِ[3]. وقد آثرَ النّظمُ القرآنيّ لفظَ (طَفِقَ)؛ للدّلالةِ على سُرعَةِ الشّروعِ مع الاستمرارِ بمسح أعناق الخيل وسوقها جميعًا إلى آخِرِها.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (شرع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بشر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بدأ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»